أين كانت القرويين ؟....

يوم أن نودي على الرهبان البندكتان لإصلاحها!

الحلقـــة الثالثـــة

أضاليل الرهبان وأحابيلهم التي لا تبلى

أدركت الكنيسة البابوية مع استهلال الحروب التحررية ضد الاستعمار الأوروبي مطلع خمسينيات القرن العشرين، أن صفحة كالحة من صفحات التاريخ التبشيري بدأت تطوى، وبأن الراهب الذي كان يسبق الجيوش الاستعمارية جاسوساً ومخبراً، ويصاحبها غازياً، ويخلفها بانياً للكنائس ومبشراً، آيل إلى زوال وراحل مع المعمرين وإلى غير رجعة، وبأن عليها القيام بمراجعة سريعة وجذرية لسياستها التي كانت تتطابق وتتواطأ في المطلق مع مصالح المستعمِرين، بكسر الميم الأخيرة، وضداً على حقوق المستعمَرين، بالفتح، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، خصوصاً وأن غالبية الكنائس التي أقيمت خارج أوروبا، إنما قامت بتبني من الاستعمار نفسه، بل وبهدم مساجد

للمسلمين على مصليها وقتلهم جميعاً، كما حصل في **جامع كتشاوة** بالعاصمة الجزائر.

قلت:

يعتبر **جامع كتشاوة** من أشهر المساجد التاريخية بالعاصمة الجزائرية . وقد بني في العهد العثماني سنة **1021هـ/1792** م وحول إلى **كنيسة** بعد أن قام الجنرال الدوق دو روفيغو *(Anne-Jean-Marie-René, duc de Rovigo (1774-1833) Général du 1er Empire)*

القائد الأعلى للقوات الفرنسية ـ بإخراج جميع المصاحف الموجودة فيه إلى ساحة الماعز المجاورة التي صارت تحمل فيما بعد اسم **ساحة الشهداء** ، وأحرقها عن آخرها ، فكان منظرا أشبه بمنظر إحراق هولاكو للكتب في بغداد عندما اجتاحها .

وقد قام الجنرال روفيغو بعد ذلك بتحويل الجامع إلى إسطبل، بعد أن قتل فيه من المصلين ما يفوق أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا فيه احتجاجا على قراره تحويله إلى كنيسة.

وكان يقول:

يلزمني أجمل مسجد في المدينة لأجعل منه معبداً لإله المسيحيين.

ثم هدم المسجد بتاريخ 1832/12/18 م، وأقيمت مكانه كاتدرائية، حملت اسم "القديس فيليب" سانت فيليب"، وصلّى المسيحيون فيه أول صلاة نصرانية ليلة عيد الميلاد 24 ديسمبر 1832 م.

وقد بعثت الملكة "إميلي" زوجة الملك: لوي فيليب (Louis-Philippe I^er^, né *Louis-Philippe* (1773 – 1850)

هداياها الثمينة للكنيسة الجديدة، بينما أرسل الملك نفسه الستائر الفاخرة.

وبعث البابا "غريغوار السادس عشرة" (Bartolomeo Alberto Cappellari) (1765 – 1846)

تماثيل للقديسين!!!!!.

وهو ما ينبئك بنوعية حوارهم.

قلت:

وقد تم استرجاع المسجد وإعادته إلى وضعه الأصلي كمسجد بمجرد استقلال الجزائر، وأقيمت فيه أول صلاة جامعة في جزائر الاستقلال بتاريخ: 2 نوفمبر 1962 م.

وفي هذا الاسترجاع دليل على مدى غور الجرح الذي تركه الاستعمار الفرنسي في ذاكرة المغاربيين، مع أنه يدعي العالمانية وعدم التدخل في أمور الدين!!!.

لذلك، وجدنا الرهبان، وفي انقلابية ملفتة وغير معهودة، يتظاهرون بالحياد، بل وحتى التعاطف والمساندة للمطالب السياسية للدول الثائرة على الاستعمار، من أجل الحفاظ على مراكزهم ومصالحهم في الدول المستعمَرة، مع سابق الإصرار والعزم في الاستمرار في شن حروبهم القديمة بأسلحة جديدة، متى مرت عاصفة الاستقلال.

قلت: **ولم يخطئ ماسينيون** **قراءة الأفق السياسي الذي بدأ يفرض نفسه على الساحة الدولية، وهو الخبير الذي اشتغل في الحرب العالمية الأولى جاسوساً ميدانيا، كضابط اتصال مع ممثل فرنسا فرانسوا جورج بيكو (**François Georges-Picot**)**[1] 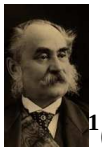 **، الذي سيتفاوض مع نظيره البريطاني السير: مارك سايكس (**Mark Sykes**) (1879 – 1919)**[2]

---

[1] **فرانسوا ماري دينيس جورج–بيكو**) باريس 21كانون الأول 1870 – باريس 20حزيران 1951 (كان سياسي ودبلوماسي فرنسي وقّع اتفاقية سايكس–بيكو عن الجانب الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى لاقتسام مناطق النفوذ مع بريطانيا في منطقة الهلال الخصيب وأراضي أخرى كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية .فيما بعد، كان مسؤولاً عن إلحاق مناطق المشرق العربي للنفوذ الفرنسي والتأسيس للإنتداب الفرنسي على سوريا. {موسوعة ويكيبيديا}

[2] العقيد سير **مارك سايكس** البارون السادس من سيلدمير) 16آذار 1879 - 16شباط 1919 (كان مستشار سياسي ودبلوماسي وعسكري ورحالة بريطاني .كان مختصاً بشؤون الشرق الأوسط ومناطق سوريا الطبيعية خلال فترة الحرب العالمية الأولى .وقّع عام 1916 على اتفاقية سايكس–بيكو عن بريطانيا مع بيكو، عن فرنسا، لاقتسام

، وبمباركة من وزير خارجية روسيا القيصرية: سيرجيوس سازانوف (Sergius Sazanoff) في رسم خارطة الشرق الأوسط، فيما سيعرف لاحقاً ب "إتفاقية سايكس-بيكو "

لسنة 1916 م[3] (خريطة توزيع الأراضي العربية بين المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين)[4]

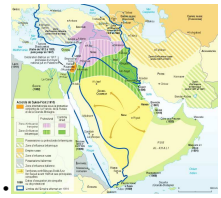

مناطق النفوذ في أراضي الهلال الخصيب التابعة بمعظمها آنذاك للدولة العثمانية المتهاوية. شاركت روسيا القيصرية آنذاك في التصديق على الاتفاقية راغبة باقتسام مناطق نفوذ هي الأخرى قبل أن تسقط على يد الثورة البلشفية. {موسوعة ويكيبيديا}

[3] كانت تفاهماً سرياً بين فرنسا وبريطانيا ومصادقة روسيا على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا من العراق للشام لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الامبراطورية العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.

تم الوصول إلى هذه الاتفاقية بين تشرين الثاني 1915 وأيار 1916 بمفاوضات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك. تم الكشف عن الإتفاق بوصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا عام 1917، مما أثار الشعوب التي تمسها الإتفاقية وأحرج فرنسا وبريطانيا وكانت ردة الفعل الشعبية-الرسمية العربية المباشرة قد ظهرت في مراسلات الحسين-مكماهون.

تم تقسيم بلاد العراق و بلاد الشام بموجب الاتفاق، وحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من بلاد الشام وجزء كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل في العراق. أما بريطانيا فأمتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعا بالإتجاه شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية. كما تقررأن تقع المنطقةالتى اقتطعت فيما بعد من جنوب سوريا وعرفت بفلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا مينائي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الاسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.

لاحقاً، وتخفيفاً للإحراج الذي أصيب به الفرنسيون والبريطانيون بعد كشف هذه الاتفاقية ووعد بلفور، صدر كتاب تشرشل الأبيض سنة 1922 ليوضح بلهجة مخففة أغراض السيطرة البريطانية على فلسطين. إلا أن محتوى اتفاقية سايكس-بيكو تم التأكيد عليها مجدداً في مؤتمر سان ريمو عام 1920. بعدها، أقر مجلس عصبة الأمم وثائق الانتداب على المناطق المعنية في 24حزيران.1922 {أنظر: هذا الرابط: {(http://fr.wikipedia.org/wiki/Accords_Sykes-Picot)

[4] Dans son journal, le 11 décembre 1920, Maurice Hankey, secrétaire du gouvernement britannique, notera : *« Clemenceau et Foch ont traversé* [la mer] *après l'armistice, et on leur a donné une grande réception militaire et publique. Lloyd George et Clemenceau ont été conduits à l'ambassade de France... Quand ils furent seuls... Clemenceau dit : "Bien. De quoi devons-nous discuter ?" "De la Mésopotamie et de la Palestine", répondit Lloyd George. "Dites-moi ce que vous voulez", demanda Clemenceau. "Je veux Mossoul", dit Lloyd George. "Vous l'aurez", a dit Clemenceau. "Rien d'autre ?" "Si, je veux aussi Jérusalem", a continué Lloyd George. "Vous l'aurez", a dit Clemenceau, "mais Pichon* (5) *fera des*

لذلك وجدنا ماسينيون يتبنى مواقفاً مساندة لبعض الزعماء الوطنيين المشاهير، كما سيفعل عندما عزلت السلطات الاستعمارية الفرنسية ملك المغرب محمد الخامس **في 20 أغسطس سنة 1953 عن عرشه ونفته إلى جزيرة مدغشقر** **، ليقوم هو بتأسيس لجنةِ فرنسا - المغرب ، ويخصص يوم 21 أغسطس كيوم صوم في مركز "البدلية" بدمياط ويُلازم ذلك كل شهر.**

وسوف يؤسس لجنةِ من أجل العفو عن المعتقلين في ما وراء البحار" (*Comité pour l'amnistie aux condamnés d'outre-mer*) سنة 1954 وينتحب رئيساً لها. كما سيؤسس "جمعيةِ أصدقاءِ غاندي[5] **" (*l'association des Amis de Ghandi*) ، وينتحب رئيساً لها كذلك.**

بل وسيسافر إلى مدغشقر **لزيَارَة المعتقلين السياسيين وجلهم من المغاربيين والملكِ المغربي محمد الخامس. وسيقف مع الثورة الجزائرية، ثم مع** حقوق الفلسطينيين **جالباً على نفسه سخط ونقمة الصهاينة الفرنسيين وغيرهم.**

---

difficultés pour Mossoul". Il n'y a absolument aucune trace écrite ou mémorandum fait sur le moment (...). *Cependant, en dépit de grandes pressions de la part de ses collègues et de toutes sortes de parties concernées, Clemenceau, qui a toujours été inflexible, ne revint jamais sur sa parole et je suis bien placé pour dire que Lloyd George ne lui en a jamais laissé l'occasion. C'est ainsi que l'histoire est faite.* {**Stephen Roskill, *Hankey, Man of Secrets*, Collins, Londres, vol. II, 1972, pp. 28-29**.}

[5] **هندَس كرمشاند غاندي** الملقب **بالمهاتما) أي صاحب النفس العظيمـــة أو القـــديس،** بالإنجليزيـــة Mohandas : (Gandhiو . 2أكتوبر 1869 - 30يناير 1948 (أبو الهند الحديثة) له ترجمة في: {موسوعة ويكيبيديا}

وهو ما رفع من رصيده الرمزي في أعين الذين لم يخبروه ويخبروا ماضيه الحربائي المتقلب عن كثب، وإن لم تكن الحيلة لتنطلي على خبير ضليع به وهو: الجزائري **مالك بن نبي**

رحمه الله[6].

يقول **ماسينيون** ملخصاً لمشوار حياته المتعرج الطويل والكثير الحفر والنتوءات:

حتى أنا، وقد كنت في ذلك العهد استعمارياً حقاً، فإنني كاتبته (يعني الأب شارل دو فوكو) حول آمالي في غزو قريب للمغرب بالسلاح، وقد رد عليّ مؤيداً!!؟؟.....

لنعترف أن المغرب كان في حالة سيئة، غير أن خمسين سنة من الاحتلال، من دون (المارشال) ليوطي! **[7] وعلو! مثاله! الفرنسي / الإسلامي!!؟؟، لم تكن لتترك أي شيء جوهري.**

قلت: وأسطورة علو مثال **ليوطي**، كأسطورة رؤية **ماسينيون** للرب، ،

تخرجان من مشكاة واحدة!

وينطرح السؤال:

---

[6] وانظر تقييمه للاستشراق عامة في كتاب: "**إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**"، **دار الإرشاد، بيروت، 1388هـ/1969م.**

[7] **لوي هوبير گونزالف ليوطي** (Louis Hubert Gonzalve Lyautey و . 17نوفمبر 1854 في نانسي - 27يوليو 1934 في ثوري (جنرال فرنسي، وأول حاكم عام للمغرب بعد احتلاله من 1912 حتى 1925، ومنذ سنة 1921 أصبح مارشال فرنسا.

ترى ما الدافع لهذه الزمرة من المستشرقين **المتشرنقين، والرهبان البيض، والإخوة البنيديكتان في الاهتمام بالإسلام ؟**

أ) **أحباً في حوار أهله ؟، من أجل العمل مع المسلمين لتحقيق الكلمة السواء، التي كان القرآن الكريم قد دعا أصحاباً لهم إليها، منذ نزوله، ولأربعة عشر قرنا خلت الآن، دون أن يستجيب لها جيل من أجيالهم قط؟:**

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤

ب) **أم شغفاً بدراسته من باب التعارف الذي دعا إليه القرآن في الآية 13 من سورة الحجرات:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣

من أجل التعرف على حقيقة الإسلام والمسلمين، وهو أساس كل دراسة خالية من الأغراض، خصوصاً والقرآن لم يكبكب كل أهل الكتاب ، في سلة واحدة، على ما اعتادوا هم مع المسلمين، بل فرق بين الصالحين والطالحين منهم، ووعد الصالحين منهم بالأجر، كما هو نص الآية 199 من آل عمران:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۜ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٩

ت) **أم حفاظاً على تصورهم الخاطئ له، من خلال موروثهم ومخيالهم، بغض النظر عن أي شيء آخر، جهلاً وظلماً وعدوانا، كما جاء وصفهم الدقيق في القرآن الكريم؟.**

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ

﴿ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ٩٨ - ١٠٢

قلت: والظاهر أن المعاصرين منهم كالأقدمين، اختاروا أن يعملوا بشق ما ورد في الآيتين: 98 – 99 من آل عمران، وهو ما اقتضى منهم، على ما أثبتت تجارب التاريخ، أن يعلنوا دوماً خلاف ما يخفون أو يبيتون، وأن يضمروا في المطلق:

أ) سوء نية دفينة، وفساد طوية مبيتة تتدثر بدموع التماسيح وبالمحبة المزيفة، ما لم تجد إلى تكشير الأنياب، وهي ما جبلت عليه فطرة، والهجوم المباشر حيلة، حال ما مثلته تاريخياً: الرسالة التي ظاهرها الود والموادعة، وباطنها الشر المضمر في التحضير للحروب الصليبية، التي كان أرسلها سنة 1076 م مخطط الحروب الصليبية غير مدفوع: جُريج السابع (Grégoire VII) (478 هـ/

1085 م) إلى الناصر بن علناس بن حماد، حاكم مدينة بجاية الجزائرية، خلال الفترة (462 هـ/ 1069 م -481 هـ/1088 م)

، رداً على التماس الأخير الأريحي، الذي طلب من هذا البابا أن بزويد الجالية المسيحية بعاصمته بجاية برهبان معتمدين ليؤطروهم، ... وهي أريحية لا مقابل لها لدى المسيحيين قط، حال ما شهدت به محاكم التفتيش المسيحية بأوروبا، وإعمالهم ب "الحل النهائي" بطرد مسلمي الأندلس والمجر، بعد إرغامهم على التنصير إلى خارج أوطانهم!

ب) الكيد للإسلام سراً وعلانية برغبة ممن لم يكن يخفي عداوته للإسلام، وراسل الأساقفة والكرادلة المسيحيين بذلك في كل أنحاء العالم وهو: البابا: **بيوس الثاني عشر** الذي شغل منصب البابوية خلال الفترة (1939 م – 1958 م)، بغية محاصرة الإسلام لإيقاف تمدده الكوني.

ولعل الأمريكي المسيحي الفلسطيني الأصل: **إدوارد سعيد** [8]، خير من خبر عمل هذه الظاهرة الحربائية في المستشرقين الرهبان، ليقول عن ماسينيون في كتابه: **"الاستشراق"** :

استعمل ماسينيون **الحلاج ليجسد، قيماً ملفوظة جوهرياً في الإسلام، النظام الإسلامي، الذي وَصفه ماسينيون بشكل رئيس، لكي يُراوغه ويلتف عليه ب الحلاج**[9].

انتهى وتليه الحلقة الربعة

هروب الرهبان إلى الأمام بدل مساءلة نصوصهم وعقائدهم

---

[8] ***إدوارد وديع سعيد*** (1نوفمبر 1935 - 25سبتمبر 2003 (أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا، الكاتب والناقد والأكاديمي الفلسطيني الأمريكي المعروف.توفي بمرض اللوكيميا.. أنظر ترجمته في: {http://en.wikipedia.org/wiki/Edward_Said}

[9] ***أنظر الاستشراق ص. 272 , Orientalism.***